الباب السادس

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا : أما قولكم : إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأتِ زمن دخولها بعد ، فهذا حقّ في الدخول المطلق ، الذي هو دخول استقرار ودوام ، وأما الدخول العارض ، فيقع قبل يوم القيامة

وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء ، وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة ، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا ، وبهذا خرِّج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ، ودار الخلد ؟

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة ، وأنها لم توجد في جنة آدم [عليه السلام] من العُري ، والنصبِ والحزنِ واللّغوِ ، والكذب وغيرها . فهذا كله حقّ لا ننكره نحن ، ولا أحد من أهل الإسلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، كما يدل عليه سياق الآيات كلّها ، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفي أن يكون فيها [بين] أبوي الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها ، فلا تنافي بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاءٍ وثوابٍ لا دار تكليف ، وقد كلَّف الله سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود . فجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا ، فلا دليل على امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « دخلتُ البارحةَ الجنةَ فرأيتُ امرأةً تَوَضَّأُ إلى جانبِ قصرٍ فقلتُ لمن أنت »[1] الحديث .

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر الله من قِبل ربهم لا يتعدونها سواء سمّى ذلك تكليفاً أو لم يسم .

الوجه الثاني : أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاةِ والجهادِ ونحوها ، وإنما كان حَجراً عليهما في شجرة واحدةٍ من جملة أشجارها ، إما واحدة بالعين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهلَ غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات ، فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها ، فهو حقٌّ ، ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها ، والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود ، حيث لا يموتون ، وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه ، وإخراجه من السماء ، فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة ، وأظهرها على صحة قولكم ، وتلك التعسفات لدخوله الجنة ، وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٠) في فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٥) في فضائل الصحابة : باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

رسول الله ﷺ ، يقعدون من السماء ﴿ مقاعِدَ للسَّمْعِ ﴾ [الجن : ٩] فيستمعون الشيء من الوحي ، وهذا صعود إلى هناك ، ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى : ﴿ اهبطُوا بعضُكُمْ لبعضٍ عدوٌّ ﴾ [البقرة : ٣٦] فلا تنافي بين هذا الصعود، وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتمل . والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم [عليه السلام] مقدار أجله ، وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

فجوابه : أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد ، وإسكانه فيها مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت ، وأنه لا يُخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض ، فلا ريب في ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار : «أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً ، فجعل إبليس يطيف به ، ويقول : لأمر ما خُلِقتَ، فلما رآه أجوفَ علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سلطت عليه لأهلكنه ، وإن سُلِّطَ عليَّ لأعصينه »[1] ؟ مع أن قوله سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ آدمُ الأسماءَ كلَّها ثُمَّ عَرَضَهُم على الملائكةِ فقال أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتُم صَادِقينَ . قالوا سُبحانك لا عِلمَ لنا إلا ما عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ . قال يا آدمُ أنبئهم بأسمائِهم فَلمَّا أنبأهُم بأسمائِهم قال أَلَمْ أَقُلْ لَكُم إني أعلمُ غيبَ السَّماواتِ والأَرْض ﴾ [البقرة : ٣١ ـ ٣٣] ، يدلُّ على أنه كان في السماء معهم بحيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض ، حتى

---

(١) أخرج مسلم نحوه مختصراً (٢٦١١) في كتاب البرِّ : باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك . ولفظه : « لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليسُ يُطِيفُ به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجْوَفَ عرف أنه خلق لا يتمالك » .
ومعنى يطيف به : استدار حواليه . وأجوف : داخله خال .لا يتمالك :لا يملك نفسه ولا يحبسها عن الشهوات .

سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يعيده إلى الأرض ، فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء ، ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السماوات . فهذا جواب القائلين بأنّها جنة الخلد لمنازعيهم . والله أعلم .